الكرسي الأَنطاكي بين الأمسِ والغد

قبلَ سبعينَ عاماً كُنّا في اللاذقية أشتاتاً بسبب الصراعات الطائفية والحزبيّة فإنقسمَ الكرسي الأنطاكي الى بطريركيّتَين: الأولى في اللاذقية للبطريرك أرسانيوس حداد، والثانية في دمشق للبطريرك الكسندر طحّان. إنتهينا منها لنتورّط بالصراع بين المطرانَين تريفون غرَيِّب وابيفانيوس زائد. حَلّ ابيفانيوس في اللاذقية في العام 1935 خصماً للمطران تريفون فإنشقّت الطائفة بين الإثنَين. كان لكلِّ واحدٍ منهُم إرتباطه السياسي في الداخل فتناثرت الطائفة في اللاذقية وخارجها ايضاً لأن ابفانيوس أنشأَ كنيسةً مستقلّة رخّصت له بها السلطة

الفرنسية المخرِّبَة. بقيَت كنائس اللاذقية تكتظُّ بالناس إنما بدون عمقٍ روحيٍّ وبدون فعلٍ لاهوتي بل تحزُّباً لتريفون او ابيفانوس. القصة تستغرق مجلّدات ولا تحتاج الى التفصيل الآن لأنها مَرارات.

لم تكن الحالة خارج اللاذقية بأفضل منها في داخلها لأن الصراعات إنتشرت في كل الكرسي الأنطاكي وساءت الحالة في دمشق فإنتقلَ البطريرك الى البلمند و لم يعُد إلا في العام 1942.

إنتفضت طرابلس ضد مطرانها الكسندروس جحا فنُقِلَ الى حمص، وبقيَت طرابلس شاغرة حتى نُقِلَ اليها في العام 1948 مطران مرجعيون ثيودوسيوس ابو رجيلي.

وَرَدَ الى الساحة الأب الياس مرقس أي مرسال مرقس سابقاً بفكرٍ دينيٍّ مستنير ينادي بالخلاص من الخُزعبلات وبالرجوع الى الإنجيل والعمق الروحي والصلوات والأصوام والمطالعات الروحية العميقة. وهكذا هدَمنا شيئاً فشيئاً قصرَ الفساد الكرتوني وعلّمنا الناس الصوم والصلاة، ومطالعة الإنجيل والكُتب الدينية، وغرَزنا الإيمان في القلوب فصارت الكنائس تكتظُّ بالمصلِّين، ولكن بمصلّين حقيقيِّين مع فَهمٍ دينيٍّ. نشَرنا المعارف الدينية وأخذنا نجمع الشباب والصبايا ثم الرجال

والنساء شيئاً فشيئاً، حتى تهافت الناسُ على الكنائس بإيمان، وتدرَّبَ الناس على الصوم والصلاة ولكن بعضُ الثَغَرات بقيَت موجودة. إنما الغَرسُ الالهي يثبُت، والزرع الالهي ينمو سواءً كنّا نائمين أم أيقاظاً كما يقول يسوع المسيح له المجد في إنجيلِ مرقس.

نما الزرع وكَبُرَ وما أن أتى العام 1966 حتى رأينا أرثوذكس اللاذقية يَهُبُّون بالروح القدس ويقِفونَ أعمدةً من نارٍ الى جانب الرب يسوع المسيح وكنيستَه المقدَّسة، فإكتظّت الكنائس بعد ذلك بالمصلِّين الحقيقيِّين المتَحلِّين بالتقوى والعبادة والصلاة والركوع والسجود والمطالعات الدينية والإهتمامات اللاهوتية، والإهتمامات الكهَنوتية.

أخذَ نورُ المسيح يشرق في القلوب حتى أضحَت اللاذقية منارةً في العالم الأرثوذكسي كلِّه. وما نراه اليوم من لمعانٍ كَهنوتي ورهباني بين شباب وصبايا اللاذقية ما هو إلا نجاح للمساعي التي إبتدأت قبل سبعينَ عاماً وإستمرَّت وستستمِر بفضل المخلِصين الشُرَفاء المستمرِّين في الخط النهضَوي اللامع.

في العام 1966 أُعجِبَ صديقي الأب أنطون طربيه كاهن ضهر صفرا – بانياس، المطران لطرطوس فيما بعد، بالنهضة الأرثوذكسية

وبوَعي الأرثوذكس، فقال للأب ايليا يعقوب "عندكم شعبٌ عظيم إهتمّوا به ".

عيِّن الموارنة لهم في الساحل بطرطوس مطراناً فحلّ على المطران جورج ابي صالح، فأُعجِبَ ايضاً بنشاطِنا فقال قولاً رائعاً جداً في هذا النجاح الباهر " إن أُعطيَ كهنةً معيّنين قادرين مدَرِّبين، لجعلَ من الكرسي الأَنطاكي الأرثوذكسي أهمِّ كنيسةٍ في العالم المسيحي".

هاتان الشهادتان هما ثمينتان جداً. هناك أدلّة على أن أرثوذكس الكرسي الأَنطاكي ما زالوا خميرةً صالحةً لإنتاجِ عجينٍ جيد، ولكن المطلوب كما قال سيادة المطران جورج صادر " جيشٌ من الكهَنَة المدرِّبين على العمل، المدرِّبين تدريباً جيداً ".

طبعاً تحسَّنَت الحالةُ جداً منذ سبعين عاماً وحتى الآن، ولكن ما زلنا بحاجة الى تضحياتٍ كبرى عظيمة في كل الميادين لكي يستعيد هذا الشعب العظيم ذاكرتَه التاريخية، ويخرج من بيننا آباءٌ لامعون مثل أفرام ويوحنا فم الذهب ومكسيموس المعترف ويوحنا الدمشقي ورومانوس الحمصي وديونيسوس المنحول ومكاريوس المنحول وسواهم من رجالِنا العظام.

البِذرةُ جيدةٌ ولكنها تحتاج الى السُقاط من الكهنَة الجيّدين الممتازين المتضلِّعين من الإيمان والتقوى وحُسن العِبادة. ولكن كيف نُدرِّب الكهنة تدريباً جيداً؟ هذا يتطلّب عناصرَ ذكية فهيمة تَقيَّة مؤمِنة مستعدَّة لبَذل الذات.

ليس الكهنوت قيافةً بل الكهنوت دمٌ مسفوكٌ. الكاهنُ قربانٌ، ذبيحةٌ. إن لم يكن ذبيحةً، كان إنساناً عادياً. الكاهن الحقيقي مُحرقة ولكن يجب أن نهتم بهذه المحرقة. هل نهتمُّ بعناصِرنا كما يجب؟ هل تبنَّى أحدٌ طالباً من طلاب اللاهوت ليُنفق عليه في الخارج بسخاءٍ ليعودَ موسوعةً من آباء الكنيسة ومن التاريخ الكنَسي اللامع؟ لا.

إن قُلنا سنسعى في بناءِ كنيسةٍ، تبرَّع الناس. ولكن، إن إختَرنا شاباً ذكياً للتضلُّع من آباء الكنيسة ما وجَدنا أحداً يُنفِقَ عليه. نُرسِلُ طلّابَنا الى اليونان على حساب الدولة اليونانية بواسطة مِنحة، هذه المنحة لا تصنع علماء. يبقى على المؤمنين أن يعتنوا بالشباب عنايةً فائقة وان يتقدَّم لامعون الى الكهنوت لعنايةِ الشعبِ التقيِّ. إن أخرَجنا يوحنا فمَ ذهبٍ جديداً كان هذا أهم من سبعين كنيسة.

على شعبِنا الأرثوذكسي في الوطن المهاجر أن يتنبّه الى هذه الحقيقة. نحن بحاجة الى يوحنا فم ذهب جديد، الى أفرام جديد، الى يوحنا دمشقي جديد...علينا ان نخلّص من التفاهات ومن السطحيّة الدينيّة التي إبتلانا بها الدهر منذ اكثر من عشرة قرون. والخلاص من هذه التفاهات والسطحيّات لا يكون الا بالتضحيات. في المهاجر الأميركية جامعات تدرّس اليونانية والعِبرية والآرامية واللغات القديمة. مَن من المهاجرين الأرثوذكس خَطرَ له أن يُكلِّف إبنَهُ دراسة لغة قديمة لينقل الينا التراث المسيحي من اليونانية والسريانية؟ ملايين الأرثوذكس هم في المهاجر، هل أخرجوا في القرن العشرين شاباً واحداً متضلِّعاً من اليونانية والسريانية؟ لماذا الأميركي يتضلّع من اللغات القديمة والأرثوذكسي المهاجر موجود في بلاد هذه الجامعات لا يهتمُّ بهذه الأمور؟ الإنكليزية حافلةٌ بالمعاجم اليونانية. المعجم اليوناني الإنكليزي هو اكبر مُعجم ظهر في التاريخ باللغة اليونانية، ثم قلّده الفرنسيون فأصدروا طبعة جديدة من المعجم اليوناني. المعجم العبراني الإنكليزي هو أضخم مُعجم. والمعجم السرياني الإنكليزي هو أقوى مُعجم.

وهناك معاجم للعهد الجديد بالإنكليزية مهمة جداً وهناك الفهرس الإنكليزي للكتاب المقدّس وهو فهرسٌ ضخم وجيد جداً.

لماذا ابناؤنا في المهاجر لا يهتمّون بذلك ويختصّون باللغات القديمة ويدرسون اللاهوت ببراعة؟ لماذا لا يُجارون الكاثوليك والبروتستانت في المهاجر؟ لماذا هؤلاء يُخرِّجون علماء الدين العظام والكتَبَة العِظام والباحثين الكبار ويبقى الأرثوذكس في المهاجر بلا علومٍ دينية مُتَّكِلون علينا لنُرسِل اليهم من الوطن الكهَنَة وسواهم؟

الكرسي الأَنطاكي هو ذو قُدراتٍ كبيرة جداً، ولكن هذه القُدرات لم تدخل حيِّز العمل وبقيَت الخامات خامات. ولذلك يجب الإهتمام بعناصرٍ ذكية جداً، ممتازة، بارعة، تقيَّة للإنفاق عليها بسخاء لنستطيع أن نُقيمَ داراً للنشر أورثوذكسيَّة لامعة يُشرِفُ عليها رجال متضلِّعون من الديانة. تراثُنا اليوناني العظيم يجب نقلُه الى اللغة العربية الفُصحى. أجدادُنا السابقون أخذوه الى اللغة العامِيَّة وهو يملأ المكتبات في اوروبا وأميركا. رحِمهم الله فقد كانوا رجالاً صناديد. تعِبوا وجاهدوا وناضلوا وترجَموا وكتَبوا وألّفوا ولكن بلغةٍ عامِيَّة. نحتاج الآن الى أشباهٍ لهم ينقلون الينا التراث بلغة فُصحى من اليونانية ومن السريانية.

لماذا نحن في عهد المطابع والمكتبات والجامعات لا نسير في خطواهم لنكون الوراثين الحقيقيين لهؤلاء الأجداد العِظام؟ هناك عشرات الآلاف من المخطوطات في المكتبات في اوروبا واميركا وسواهما، هذا من أصابع أجدادِنا الأماجد رحِمهم الله وجعَلنا خيرَ ابناء بشفاعة سيدتنا والدة الاله وجميع القدّيسين آمين.